THE NOUN SCHOLAR: Journal of Arts and Humanities, Maiden Edition, Vol. 1 No.1, 2021, pp. 230-238
ISSN: 2814-3396
FACULTY OF ARTS, NATIONAL OPEN UNIVERSITY OF NIGERIA, JABI, ABUJA

دور الكتاتيب والدهاليز في مقاومة تحديات مسيرة اللغة العربية والدراسات الإسلامية في نيجيريا.

إعداد
الدكتور / عبد الله مسعود غاتا

الملخص:

تهدف المقالة إلى إبراز ما للكتاتيب والدهاليز أو المدارس العربية الأساسية في البلدان العربية وهذه الديار من أدوار فعّالة في إيقاظ الهمم وتوجيه أفكار الأمة نحو مستقبلها النبيل، وضبط علومها ومفاهيمها، ومناهجها التربوية، وثقافة أفرادها، وحضارة أممها كذلك تهتم بتاريخ أمجادها ومناقب أعلامها، وكيف استطاعت هذه المدارس (الكتاتيب والدهاليز) أن تقاوم التحديات التي تعوق دون اللغة العربية والدراسات الإسلامية ودارسيهما أساتذة وطلابا بهذه الربوع، وظلّت تحرص كل الحرص على تقويم وإنهاض الجيل القادم بمحو الأمية، ومحاربة الجهالة، حتى يستطيع أن يحمل العبء العظيم الذي يرقد على أعناقها بكل مشقة وعنف، وكاد يكسر ظهر حامليه بدون جدوى ولا تعطيل، ولعل المنهج الاستقرائي والتاريخي هما المتبعان في هذه السطور، إذ يتبع الكاتب تلكم الآثار وأعمال القدامى حتى تظهر ما لهم من الجهود المبذولة حتى قامت هذه المدارس على ساقيها وقدميها بمقاومة معارضيها ومعانديها من داخل وخارج بكل أمان وراحة، وعملت بكل جد وجهد في تقديم عجلة العلم وأهله إلى الأمام، حتى حررت أبناءها من العبودية والسخرية ومن مكائد غيرهم من بني البشر بعد حصولهم على القراءة والكتابة. والمقالة في هذه العجالة تسير على المنوال التالي: تحديد مفهوم الكتاتيب من منطلق المعجمي والاصطلاحي بعد المقدمة، عرض وجيز لنشأتها وتطورها في نيجيريا، مناهجها التعلّمية والتعليمية، الكتاتيب ومقاومة التحديات المعاصرة، الخاتمة، المراجع والمصادر.

الكلمات المفتاحية: الكتاتيب، مقاومة التحديات، مسيرة اللغة العربية، الدراسات الإسلامية، نيجيريا.

Abstract
This paper is titled 'The role of elementary Arabic schools in renitence the challenges opposing way forward of Arabic language and Islamic studies in Nigeria'. The paper aims to examining and focusing on how this system of learning pave way for the incoming generation by preparing them with adequate knowledge and information and make them realize their position and status in their immediate environment and beyond. It also dwells on basic reasons for studying Arabic language among Nigerian scholars. The contributions made by Islamic jurists are briefly mentioned.

Keywords: Elementary Arabic schools, Renitence the challenges, Way forward, Arabic language, Islamic studies, Nigeria.

المقدمة:

تعدّ الكتاتيب من أقدام مراكز الأخذ والأداء، واللبنة الأولى في التعلّم والتعليم بعد المساجد في الإسلام، وهي تهدف منذ أول وجودها محو الأمية، ومحاربة الجهل، وهي الطريقة اللاحب التي توصل الناس إلى مقاصدهم ومرماهم، بل سفينة النجاة التي تنقلهم من غياهب الدجى وتخرجهم من ظلمة الجهل والفقر إلى نور الهداية وغنى النفس والعرفان، وتبث فيهم المروءة والإنسانية، وتخرجهم من البداوة والسذاجة إلى الحضارة والعمران حتى يظلّوا ممن يشار إليهم بالبنان، وترفعهم من الحضيض الأرضي أو الحيواني إلى الأفق الأعلى أو الملكي، يضرب بهم المثل في مشارق الأرض ومغاربها، وتلمع أسماؤهم في سجل الخلود يتوارثون مجدهم كابرا عن كابر، بعدما أقرّت فيهم ماهية العلم وفضل العرفان، وهي تهيئهم لمكافحة الأحداث وما ينتج

منها، ومواجهة الوقائع وما يستفاد منها حتى يستطيعوا أن يقاوموا جميع تحديات عصرهم، وينافسون أقرانهم الذين ربوا باللبان الغربي، وعبدة الغربية فكرة وأسلوبا، والذين يعترفون بأسبقيتها على غيرهم، كما يقدسون أحلامهم شكلا ومضمونا، وقام طلاب هذه المدارس بكل ما في وسعهم، وأكبوا وجوههم نحو العلم وتحصيله، والانتفاع بما حصلوا عليه من دونهم من أبناء دينهم وغيرهم، واستفاد منهم الأقاصي والأداني على حد سواء، وطبّق فيهم قول القائل "نتائج فكرهم سوابق عصرهم" ودربتهم تلك المؤسسات العلمية على حسن التحمل والمصابرة حتى يتكيّفوا مع البيئة ومستجدات الأمور في جميع الظروف والبيئات، والمقالة تسير على الدرب التالي في المناقشة:

.مفهوم الكتاتيب من منطلق المعجمي والاصطلاحي

.عرض وجيز لنشأة الكتاتيب وتطورها في نيجيريا

.مناهج الكتاتيب التعلّمية والتعليمية

.الكتاتيب ومقاومة التحديات المعاصرة

.الخاتمة

.التوصيات والاقتراحات

.المراجع والمصادر

.مفهوم الكتاتيب من منطلق المعجمي والاصطلاحي

كانت كلمة الكتاتيب مأخوذة من أصل كلمة: كتب، يكتب، كتابة، أو كتابا، واسم الفاعل منه كاتب وجمعه كتّاب ويطلق على بعض أصحاب النبي كتّاب الوحي وهم الذين يضبطون الوحي أو القرآن للنبي حين نزوله ويمليه عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم، وصيغة الكتاتيب على وزن المفاعيل وهي جمع الجمع أو منتهى الجموع عند علماء الصرف، وتعني مدلولاتها المعجمية: على حد تعبير الدكتور إبراهيم أنيس وغيره في المعجم الوسيط، "مكان صغير لتعليم الصبيان القراءة والكتابة وتحفيظهم القرآن، جمعها كتاتيب" (أنيس، إبراهيم وغيره، 1972م، ص810).

وقد تكون زاوية من زوايا المساجد، أو غرفة من غرف بيوت العلماء يستخدمها طلاب العلم لاستقبال معلوماتهم ممن يراقبهم أو يشرف عليهم، ويعلمهم القراءة والكتابة، كما يأخذون منه مباشرة.

وفي حده الاصطلاحي: فكلمة الكتّاب: " مكان صغير يسع عددا من الصبيان تحت إشراف معلم أو معلمين، وقد يكون غرفة في بيت المعلم أو حانوتا أو دهليزا من دهاليز المنزل أو المسجد يذهب إليه الصبي غالبا إذا بلغ ست سنوات من العمر ليتلقى التعليم نظير أجر أو جعل معين أو غير معين في كل أسبوع أو كل شهر أو كل سنة." (الإلوري، 1972م ص/ 35.)

ففي هذا التعريف اعتناء خاص وتصوير دقيق بميزات هذه المدرسة في بيئة صاحبه إذ لم يخصص فيه علما دون الغبر، أو لم يقتصر فيه على تعلم القرآن الكريم وحفظه فقط، إذ الطالب يأخذ فيها جلّ مبادئ العلوم العربية والإسلامية نطقا وكتابة حسب قدرة المعنين بها أو المشرفين عليها، كما أشار إلى شروط القبول فيها أو الالتحاق بها وذلك ببلوغ ستة أعوام من العمر، فحينئذ تظهر في الطالب أمارات الذكاء والفطانة بناء على فلسفة التربية عند التربويّين، وفي وقتئذ يستطيع الطفل أن يدرك ما يتلقاها من معلمه بدون تعب ولا مشقة إلا في شذوذ وندر أو ما أشار إليه علماء التربية بالفروق الفردية، ثم بيّن نوعية الموافقة بين الآباء والعمّال في هذه المؤسسة، وأنى يقابلون أعمالهم بالأجر أو ما يعادله. وقد أوضح المعلومات التي يتلقاها الطالب في الكتاتيب في تعريف آخر

بقوله: " الكتّاب بصيغة الجمع مكان يتعلّم فيه الصبيان الكتابة والقراءة والحساب والتأريخ وغير ذلك، وقد أنشئت لحرمة المساجد وقد انقرضت اليوم ولم يبق إلا قليل." (الإلوري، 1981م ص/ 35.)

وفي هذا التعريف وما سبقه من نفس المعرّف نوع من اللف والنشر، وأوضح في هذا الأخير بذكر بعض المواد المدروسة فيه، في حين نجد بعض المعرفين لها يقتصرون العمل فيه على قراءة القرآن لا غير، ويضيف إليها بعضهم الكتابة، لكن قلّ من يثبت له ما أثبته الشيخ الإلوري، وهذه دلالة واضحة على ما ،أحاط به في البيئة التي عاش فيها هذا الشيخ، أو ما يعدّ من الاستدراكات التي أضافها علماء هذه المنطقة إلى أعمال السابقين والذين تتلمذون على أيديهم .وبنوا على ما أخذوها من علمائهم ومشايخهم

وهناك تعريف أخر قيّد فيه صاحبه ما أطلقه الإلوري فيما يمس الأخذ ومنهجه في هذه المؤسسة شكلا ومضمونا، ونفى عنها ما أثبته الشيخ الإلوري، بإضافة بعض العلوم العربية كالحساب والتأريخ وغيرها إلى منهج هذه المدرسة، وأن منهجهم فيها حسب تعريف الأخير مقتصر على القرآن الكريم وآدابه لا الغير، ودونكم السيد فتحي عبد الحميد حين يسرد كلامه عن هذه المؤسسة ودورها في المجتمع الإسلامي، ويقول: " عنيت الكتاتيب بتعليم وتحفيظ القرآن الكريم وآدابه، فضلا عن الأحاديث النبوية الشريفة إلى جانب تعلّم القراءة ومبادئ الحساب ويسير النحو، فكانت ولا تزال أهم المؤسسات التعليمية على الاطلاق فهي نظام تعليمي مناسب وملائم لكافة مستويات ،المجتمع ولا تكلف الدولة شيء فهي منظومة تعليمية ضرورية على اختلاف العصور ولا يمكن التخلي عنها في ظل وجود مؤسسات التعليم الحديث. "(فتحي عبد الحميد ،م2018)

وصاحبنا في السطور السابقة اعترف بأهمية هذه الهيئة العلمية ودورها في المجتمع الإسلامي، وأن شأنها مما يجب على الحكومة والشعب الاعتناء بها في كل حال لما يجنى منها الأمة من الخير الكثير، والحفاظ على مستقبل تلك الأمة التي احتفظت بها، واهتمت بشؤونها، وأنه من المستحسن ألا يستبدل الذي أدنى .بالذي هو خير

وفيه تعريف آخر على نهج سابقيه ذكر فيه صاحبه مبادئ هذه المؤسسة العلمية ومقاصدها، ثم إسهاماتها في الحفاظ على اللغة العربية، وتحسين لسان الطالب وتقويمه، والاجادة في القراءة وأوجه التعبير، يقول د. سيد محروس المدرس بجامعة الأزهر: " الكتاتيب (جمع كتّاب بضم الكاف وتشديد التاء) هي مدرسة القرآن ومعلمة الأجيال، كانت ولا تزال من أخطر وأهم المؤسسات التعليمية التي عنيت بتعليم وتحفيظ القرآن الكريم عبر أجيال متوالية، حافظت على اللغة العربية واستقامة اللسان العربي، وكانت بمثابة الدروع التي حافظت على تراث الأمة في مواجهة مدارس الإرساليات التي غزت عالمنا العربي منذ بدايات القرن التاسع عشر." (محروس، سيد، 2020م)

فالدكتور في هذا الصدد صرّح أن هذه المؤسسة وضعت لتعلّم القرآن وحفظه، وما يتوصل إليه من المعلومات كالتهجي أو كيفية النطق الصحيح بالحروف الهجائية، والذي يعتبر نقطة الانطلاق للتكلم والتعبير، وهذه المؤسسة العلمية بوصفها الخاصة من أهم المراكز التعلمية وأخطر مراحل الأخذ لصبيان وطلاب العلم، اعتنى بها علماء التربية والتعليم كل الاعتناء في الصعيد الدولي لأهميتها في عمر الإنسان ومراحل الحياة، وأن هذه المرحلة لا تقلل شأنها ذوي الأفكار الثاقبة، والتوعية النادرة، وعلماء التربية وفلاسفتها في ترتيب الأمور وتدبير الأحوال عند توجيه أبنائها وبناء مستقبلهم ومستقبل أمتهم على أساس العلم والعرفان دون التقليد الأعمى بناء على قول القائل صغار اليوم رجال الغد، أو التعليم في الصغر كالنقش على الحجر بل على رقابهم تريح وتعتمد أمور مجتمعهم في المستقبل القريب، وأقرّ أن أهلها هم الحفظة الذين حفظوا اللغة العربية واحتفظوا مناهجها وأساليبها، وقاومت كل ما يعتريها وتؤدي إلى هلاكها .وانقراضها ولا سيما أحداث بداية القرن التاسع عشر الميلادي من الغزوات الفكرية والعقائدية ضد الإسلام ولغته العربية

وأما الدهليز فكلمة تعني المدخل بين الباب والدار، جمعها دهاليز، أبناء الدهاليز: اللقطاء، كما يستعمل في كثير من الأحايين مرادفة لكلمة الكتاتيب، إلا .أن بعد علماء اللغة الحديث أنكروا وجود الترادف في اللغة العربية، وحينئذ تعتبر الكلمة تقرب معنى سابقها، ويوضّح مدلولاتها اللغوية ولا ترادفها

.عرض وجيز لنشأة الكتاتيب وتطورها في نيجيريا

لم يكن للنيجيريّين في بداية أمرها وطلوع فجرها منهج مقيّد بقواعد وضوابط يعصم التعلّم والتعليم فيها، أو طريقة منظمة محددة للقراءة والكتابة تهدف إلى إثارة العلم وتحببه في هذه الديار قبل الإسلام وأهله، أو لم يوجد فيها ما يطلقون عليها اليوم بالمدارس النظامية أو ما يشبهها شكلا ومضمونا، ولا منهجا

مرتبا ومنظما ومخططا، غير أن أهلها معتمدون على تراث آبائهم في معارفهم ومعلوماتهم على تلقائي يتوارثونها كابرا عن كابر، وجلهم أميون لا يعرفون القراءة ولا الكتابة، بل هم يروون معلوماتهم عن طريق المشافهة، ومع ذلك كادت تصدق عليهم بالمصادفة ما اصطلح عليه العلماء اليوم فكرة التخصص، إذ لكل بيت من بيوتهم ما يجيدها من الصنائع أو يختص بها من الأعمال، ويراجع إليه المجتمع إذا دعت إليها الحاجة، بل يتعلّم الابن صناعة أو حرفة أبيه من زراعة أو حياكة أو تجارة وغيرها حتى ولو هو غير راض بها، وقلّ ما يرسل الآباء أبناءهم إلى تعلّم أعمال الغير، بل يأخذ بعضهم تلك الصنائع كرها وعلى رغم أنفهم، وهم على هذا حتى وطأة قدمي العربية في هذه الديار، وكانت شذرات من ألفاظها ولقطات من عباراتها ملتقطة من أفواه التجّار الوافدين إليها من شمال أفريقية نحو الصحراء الكبرى، وظلّت العربية إحدى وأقدم اللغات المستوردة فيها، وهذه نقطة الانطلاق في احتكاك العربية ببعض لغاتنا المحلية، ومن هذا القبيل تسربت ألفاظ العربية إلى بعض لغاتهم المحلية من الفلاتية والهوساوية واليورباوية وغيرها، واندمج بعض كلماتها في قواميسهم وألسنتهم حتى بعض تصرفاتهم وحركاتهم اليومية نحو ما هي عند أصحابها لفظا ومعنى، وقد تأتي منهم إما بتحريف أو بتصرف يسير، وظلّت العربية جزء لا تتجزأ من ضمن لغتهم الأم، واعتبرت لغتها الثانية، ووجدت لها الكيان بين أهلها.

والجدير بالذكر في هذا الصدد أو المعترف به عند جلّ المؤرخين وأيّد مذهبهم أهل الوثائق وعلماء الآثار أن العربية لها وجود وكيان محسوس وملموس في نيجيريا بقرون عديدة قبل الإسلام، لأنها تسربت وتوغلت إلى ألسنة الأفارقة استعمالا بواسطة التجار، وهم الذين حملوا لوائها إليها، لكون التجار في قدم الزمان رسل الحضارة وهم الذين ينتقلون من بلد إلى أخرى حاجات من ينقل إليهم، وكانت آصرة التجارة من أوثق العرى التي ربطت نيجيريا بغيرها من البلدان وحتى البلدان العربية منذ القدم على حد سواء، وكانت العلاقة التجارية الموجودة بين نيجيريا والبلدان العربية أو شمال أفريقيا ساعدت في انتشار الإسلام بها سريعا أو ساهمت في اعتناق أهلها الدين الحنيف دون استيلاء على أحد ولا قتال عنيف، إلاّ أن الإسلام هو آخر ما مهّد الطريقة للعربية وعلومها، وله دور فعّال في تعميمها في مشارق الأرض ومغاربها وفي هذه الربوع، وقد دانت لها رقاب الجبابرة من طغاة اللغات المعاصرة، واعترفت بقصورهم عن ثروتها اللغوية، وكثرة مفرداتها ومصطلحاتها، وتنوّع أساليبها التعبيرية، يقول شيخو غلادنث: " المعروف أن هناك علاقة تجارية بين البلاد التي كان العرب يطلقون عليها اسم المغرب وبين البلاد الواقعة جنوب الصحراء الكبرى، وكان ذلك قبل القرن السابع الميلادي أي قبل دخول الإسلام في القارة الأفريقية. وقد اشتهرت عدة طرق القوافل، كانت تبدأ من مراكش وتلمسان وتونس وطرابلس ومصر متجهة إلى الجنوب فتجتاز الصحراء الكبرى وتصل إلى المراكز التجارية الرئيسية في غرب إفريقية، مثل غانة القديمة وإلى تمبكتو وولايات الهوسا وكانم وبرنو وغيرها." إلى أن قال " وهذه العلاقة التجارية بين العرب وغربي إفريقية التي بدأت في القرن السابع الميلادي وازدهرت بعد القرن الحادي عشر هي فيما أعتقد أولية العربية في إفريقية. ولقد ظلت هذه العلاقة بطريقة سليمة طبيعية منذ ذلك التأريخ إلى أن تمت بانتشار الإسلام في القارة الإفريقية. " (غلادنث، 1993م ص/ 17 – 18.)

وقد سبقه الإلوري في هذا الرأي، وذلك حينما يذكر صلة نيجيريا بالعالم الإسلامي، وأثبت العلاقة التجارية وأسبقية العربية على الإسلام بقرون عديدة في هذه المنطقة.

ولما أشرق نور الإسلام بهذه الربوع، وشاع ضيائه في أرجائها، ودان به ملوكها وممتلكاتهم، والأقيال ومواليهم، ثم الحكومة وشعبها إلى أن صار بها دينا ودولة، ورغب فيه البوادي والحضاري، ومن طبيعة هذا الدين الحنيف نشر العلم ورفع شأنه، بل هو الذي حمل على عاتقيه أمر التعلّم والتعليم منذ طلوع فجره وأول ظهوره في العالم، وأمر نبيّه الأمي بالقراءة، بقوله تعالى في سورة العلق : " اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم" سورة العلق: الآية 1–5. وبهذه الآيات افتتح الله رسالته العالمية هدى ورحمة للعالمين، وجعل التعليم ركنا أساسا لتعميم رسالته، ولإخراج أهله من غياهب الشرك والجهالة ومن الظلمات إلى النور والهدى والأخلاق الكريمة، يأمرهم بالعدل والإحسان وايتاء ذي القربى، وينهاهم عن الفحشاء والمنكر والبغي، ومن مناهج الإسلام في تعميم التعليم تأسيس المدارس المعنية بالصغار (الكتاتيب) والمعاهد العلمية العليا للكبار، فليس من الإمكان أن يقوم كل والد بتعلّم ابنه الكتابة وإنما يبحث به إلى معلم ليعلمه في منزله أو مكتبه ولم تكن المكاتب المبنية منتشرة على أوسع نطاق ولكنها موجودة في بعض الأماكن، ويبدو للباحث عن تاريخ المكاتب أن اسم المكتب كان معروفا للعرب قبل الإسلام وكان يطلق على المكان الذي يتعلم فيه التلميذ الكتابة والقراءة ثم تطور إلى استعمال اسم الكتّاب بصيغة الجمع نظرا لكثرة من يكتب هناك من المعلمين والمتعلمين وكان أولا يطلق عليه (مجلس الكتّاب) ثم حذف المضاف وبقي المضاف إليه الكتّاب وتختلف أقوال المؤرخين في أولية ظهور المكاتب في جميع البلاد.(الإلوري، 1981م ص/)

يقول الشيخ الإلوري في موضع آخر: " لا تكاد قدم الإسلام تثبت في بلد من البلاد حتى تتأثل ثقافته في أرضها، ولا تلبث حتى تظهر فيها مدرستان عربيتان: أولاها: المدرسة القرآنية للصغار، وثانيتها: مدرسة العلوم للكبار (المعاهد).

تفتح المدرسة القرآنية (الكتّاب) لأطفال المسلمين، لكى يرتادوها صباح مساء في بيوت العلماء أو الأئمة الذين يعكفون على تلك المدارس، ويلازمون أولئك التلاميذ حتى يكملوا قراءة القرآن سردا من المصحف أو حفظا عن ظهر الغيب، وإذا ختموا القرآن أقاموا وليمة فاخرة في المدرسة يحضرها زملاء التلاميذ ليشاركوه الفرح بهذه البراعة وليرغبوا الآخرين في الجد والاجتهاد حتى الختم، ثم يختار التلميذ ما يروقه من مسالك الحياة، أو يعود إلى مسلك والده، تاجرا أو زارعا، صانعا، أو عالما.

وكان أبناء غير العلماء يكتفون غالبا بالقرآن فقط في هذه المدرسة. أما أبناء العلماء فإنهم يضيفون إلى القرآن تعلم الكتابة ومبادئ التوحيد والفقه، ليكونوا من الصغر على بصيرة من أمور دينهم الضرورية، وليفهموا ما يقولون في صلواتهم اليومية من آذان وإقامة وتهليل وتكبير وتشهد وتسبيح وقنوت، وقليل من أبناء غير العلماء من يجمع بين ذلك وبين قراءته القرآن وقليل من لم يدخل مدرسة القرآن من أبناء المسلمين وإن لم يختموه.

أما أبناء العلماء والمتعبدين فلا يكتفون بختم القرآن وبعض مبادئ الدين بل يستمرون في طلب العلم حتى يكونوا على قسط منه وفير، أو حتى يكونوا علماء ماهرين. على أن التزام الإسلام للعربية في تأدية الصلاة وفي التعبد بتلاوة القرآن خارج الصلاة جعل لها قدسية كبرى في نفوس المسلمين، وجعلهم يعتبرون تعلمها ومعرفتها فضلا وشرفا وسعادة ودرجة، أو دينا وعبادة." (الإلوري 1972، ص/ 52- 53).

وممن سار على هذا المنهج وأقرّ فضل الإسلام في انتشار المدارس بنيجيريا الأستاذ الدكتور أحمد شيخو سعيد غلادنث، يقول في كتابه حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، " وانتشار الإسلام هو الذي أدى إلى انتشار المدارس القرآنية لتحفيظ الأطفال شيئا من القرآن الكريم. فهي ضرورية في المجتمع الإسلامي والمسلمون دائما يعطون أهمية كبيرة لها ويفتحونها لتعليم أطفالهم، فلا بد أن يكون بعض التجار الذين أدخلوا الإسلام ساعدوا أيضا في فتح المدارس القرآنية وتدريس شيء بسيط لمن اعتنق الإسلام. " (غلادنث 1993م، ص/60- 61.)

هذا شيء عن بداية الكتاتيب وانتشارها في نيجيريا وقد وافق شأنها الطبق في جل البلدان الإسلامية ومراكزها، وتماثلت الأسباب المؤدية إلى وجودها في كثير من البلدان الإسلامية، وأما ظهورها في الإسلام بصفة عامة فيرجع إلى أيام سيدنا عمر رضي الله عنه وذلك أنه لما تولى الخلافة أمر ببناء المكتب إلى جانب المسجد النبوي وجمع فيه أولاد المسلمين وكلّف عامر بن عبد الله الخزاعي أن يلازم الأولاد وأن يعلّمهم بالرفق والعطف وأجرى عليه رزقه من بيت المال وأمر أن يكتب للبليد في اللوح ويلقن الفهيم من غير كتب وأمر المعلم بالجلوس بعد صلاة الصبح إلى الضحى ومن صلاة الظهر إلى العصر ويستريحون بقية النهار إلى أن خرج إلى الشام عام فتحها فمكث شهرا ولما رجع خرج المسلمون على مسيرة يوم فكان يوم الخميس لاستقباله عند عودته إلى المدينة خرج معهم صبيان المكتب فتأخر عليهم فلم يرجعوا حتى غربت الشمس ثم تعبوا يوم الجمعة ولم يحضروا المكتب ولما بلغه الخبر اذن لهم أن يستريحوا في هذين اليومين من كل أسبوع وصار الأمر بعد ذلك عادة متبعة في جميع المكاتب الإسلامية

ثم أمر سيدنا عمر ببناء المكاتب في سائر العواصم الإسلامية يحضرها كل من أراد أن يتعلم الكتابة والقراءة والقرآن من الكبار والصغار فكانت تبنى إلى جانب كل مسجد صونا لحرمة المساجد أن يدنسها الصبيان عملا بالحديث الوارد عن رسول الله في قوله: (جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم) (الإلوري ص/ 198132 م.)

مناهج الكتاتيب التعلّمية والتعليمية.

أما طريقة التعليم فيها فمختلفة في البلاد الإسلامية على اختلاف البيئات والمشارب وإليك مثلا ما رواه ابن خلدون في المقدمة ببعض تصرف: " اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الايمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث وصار القرآن أصل التعليم الذي يبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات واختلفت طرقهم في تعليم القرآن للولدان باختلاف الإعصار والأمصار وباعتبار ما ينشأ عن ذلك التعليم الملكات.

فأما أهل المغرب فمذهبهم الاقتصار على تعليم القرآن فقط لأخذهم أثناء المدرسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه ولا يختلطون ذلك بسواء من شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث وفقه وشعر ولا من كلام العرب إلى أن يجاوزا حد البلوغ إلى الشبيبة.

أما أهل الأندلس فمذهبهم تعليم القرآن والكتّاب من حيث هو وهذا هو الذي يراعونه في التعليم إلا أنه لما كان القرآن أصل ذلك ومنبع الدين والعلوم جعلوه أصلا في التعليم، ولا يقتصرون لذلك عليه بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسل وقوانين العربية وحفظها وتجويدها الخط والكتابة ولا تختص عنايتهم في التعليم بالقرآن دون هذه بل عنايتهم فيه بالخط أكثر من جميعها إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى الشبيبة.

وأما أهل أفريقية فيخلطون في تعليم للولدان القرآن بالحديث في الغالب ومدارسة قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها، إلا أن عنايتهم بالقرآن واستظهار الولدان إياه ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءته أكثر مما سواء، فطريقتهم أقرب إلى طريقة أهل الأندلس لاتصالهم بشيوخ الأندلس وأخذهم منهم.

وأما أهل المشرق فيخلطون في التعليم كذلك ولكن عنايتهم بدراسة القرآن وصحف العلم وقوانينه في زمن الشبيبة أشد ولا يخلطون بتعليم الخط فمن أراد تعليم الخط فعلى قدر ما يسنح له بعد ذلك من الهمة)

وعلّق الإلوري على هذه الفقرة الأخيرة : قلت وأما أهل نيجيريا وما حولها من بلاد غرب أفريقيا فالغالب أنهم لا يخلطون في تعليمهم القرآن للولدان بشيء من العلوم بل يقتصرون على تعليم القرآن استظهارا كالبرناويين والسنغاليين والهوساويين أو سردا كسائر اليرباويين الذين يكتفون بحفظ بعض السور القصار لتأدية الصلاة المفروضة.

غير أنه يوجد في القليل النادر بعض بيوت للعلماء من يجمع بين تعليم القرآن وأشياء قليلة من دروس التوحيد والفقه والشعر وذلك إذا انتصف التلميذ قراءة القرآن وهذه الطريقة كما ترى أقرب إلى طريقة المغاربة قليلا" (الإلوري،1981م ص 32- 34)

والصبي يرتاد الكتّاب مرتين كل يوم صباحا ومساء ما عدا الخميس والجمعة، أما فترة الصباح فتبدأ من الصحوة إلى الظهر يباشر فيها التلميذ القراءة أولا ثم الكتابة ثانيا ثم يعود إلى المنزل ليتناول الغذاء.

ثم إلى فترة المساء فهي تبدأ من العصر إلى آخر النهار، ومنهج القراءة أن يقرأ الصبي درسه المكتوب له في لوح يكتبه المعلم أو العريف أو التلميذ نفسه ويكرره حتى يتقنه أو يحفظه ثم يمحوه ليكتب مكانه درسا جديدا، يقوم المعلم بتلقين الدروس لتلاميذه ثم يجلس أمامهم على الحصير وهم ملتفون حوله وبيده عصا أو درة يضرب بها التلميذ إذا أخطأ القراءة أو فرّ عن الدرس أو غاب عنه أو تأخر عن الحضور أو أساء الأدب.

وإذا اتقن التلميذ دروسه أقام والده حفلة متواضعة لشركائه في دار المعلم أو في المكتب وتسمى الحفلة: بالاصرافة أو الحذافة أو الوليمة، وربما كان ذلك إذا اتقن الصبي جزء عم أو تبارك أو الرحمن أو يس أو الكهف أو براءة أو البقرة.

فيذبح الصبي دجاجة أو كبشا أو بقرة على حسب طاقة الوالد وامكاناته ويهيئ معها أنواع الأطعمة المعتادة للتلاميذ ثم يقدم هديا خاصة للمعلم، وأصل الحفلة أن سيدنا عمر بن الخطاب أقام على حفظ سورة البقرة إحدى عشر سنة ولما حفظها نحر جزورا شكرا لله تعالى على ذلك." (الإلوري م ص\ 35- 198136)

فهذا عرض وجيز للكتّاب ونظام التعليم فيه، وهو يشتمل على تعريف ومناهج التعلّم والتعليم فيها وبعض البلدان الإسلامية.

الكتاتيب ومقاومة التحديات المعاصرة.

لم تكن التحديات عرقلة ولا مانعة للنمو ولا التقدم، بل سنة الحياة وطبيعتها، وهي لدى ذوي العقول النيرة والفلاسفة النبيلة داعية من دواعي التطور والارتقاء، وفك القيد، بل تورث القوم التسابق والتفوق على معاصريهم، لأن مفكريهم يعمل ليل نهارهم للبحث عن الحلول لتلكم المشاكل التي تنتج وتنبعث من هذه التحديات ودواعيها، حتى يبنوا لمجتمعهم الحياة الطيبة والنافعة للأجيال القادمة.

تعدّ الكتاتيب في الطليعة الأولى من عُدة العلماء والمربّين عند مقاومة التحديات ومستجدات الأمور، وقد اتكل عليها العلماء في بدء الأمر في إنارة طريقة أبنائهم، وتوجيه عقولهم، وتسديد أفكارهم، كما اعتمدوا عليها في ترسيخ عقائدهم الدينية، وتهذيب أخلاقهم عند معاملاتهم مع الغير، ولم تقصر فكرتهم في دائرة مضيقة، حتى استطاعوا أن يفتحوا أمامهم عدة ميادين في مقاومة تلكم العراقيل، ولهم مبادرات طيّبة وناجحة في هذه الصنيعة، ومن مناهجهم في هذه المحاولة ما تلي:

تدريب طلاب الكتاتيب على النطق الصحيح والتهجي السليم بدأ بالحروف ثم التراكيب ومنها إلى الجمل والفقرات، ومن هذا المنطلق إلى قراءة الآية والسور ومن ثم تحررهم من قيود العجمة واللحن، يعبّرون عما في ضمائرهم بكل الطلاقة، يقول الشيخ الإلوري: " يقوم المعلم بتلقين الدروس لتلاميذه ثم يجلس

أمامهم على الحصير وهم ملتفون حوله وبيده عصا أو درة يضرب بها التلميذ إذا أخطأ القراءة أو فرّ عن الدرس أو غاب عنه أو تأخر عن الحضور أو أساء الأدب" (الإلوري، ص| 36.)

تقويم وتحسين عقيدة التلاميذ وتوجيه هممهم انطلاقا من أخيليتهم وأفكارهم صونا عما يتسرب إليها من الرواسب الجاهلية، أو التأثير السلبي من البيئة والظروف المحيطة بهم فالأستاذ أو المعلم يوجه الطلاب ويرشدهم إلى ما فيه مصالحهم أو ما يؤول إليه الأمر في مستقبل أمتهم بالنصح أو الضرب وغيرهما بل .حسب ما دعت إليه الحاجة، أو ما عثر على الطالب وآثاره من العمل

الصبر عند حلول المكاره وقد ألهمتهم مدرستهم من البداية المصابرة، وتوجه همم الطلاب إلى حسن التحمل، وتلقنهم إياه، وتدريهم عليه، وأقرّت في نفوسهم أن لكل ضيق فرجا ومخرجا، وهدتهم إلى الثبوت عند المكاره بالجزم أن مع العسر يسرا، يلاحظ ذلك من دستورهم ، وما يعتمد عليها في ترتيب منهج الأخذ :وطريقة التعلّم، وتنجلي ذلك في كتاب تعليم المتعلم طريق التعلم يقول الشيخ الزرنوجي

ألا لا تنال العلم إلا بستة ** سأنبيك عن مجموعها ببيان

ذكاء وحرص واشتباه وبلغة** وإرشاد أستاذ وطول زمان (الزرنوجي، د ت، ص/15)

الحرص على معالي الأمور والرغبة عن سفاسفها، وقد أوجدت فيهم هذه المؤسسة العلمية بعد النظر وكثرة الطموح في تحصيل المعلومات والمعارف حتى يسيروا ،على الدرب بالبصيرة دون التقليد الأعمى وتفتح لهم سبيل النجاة، وتلهمهم البينات عن أسرار الأمور ودقائقها، وتثير فيهم مفاضلة الوثائق على البواكر "وترغبهم في القديم دون محدثات الأمور مما تؤدي إلى الفساد والانحراف الخلقي، طبقا لقول القائل: " عليكم بالعتيق وإياكم ومحدثات الأمور

مجاهدة النفس في بث المروءة والإنسانية وحسن التعاون مع الغير، تغرس فيهم حسن المصاحبة ولين الجنب، ومجالسة الخيرة من الناس، ومخالفة الأوباش والمتمردين، وترشدهم إلى التمسك بالأخلاق الفضيلة دون رذائلها، والتجنب عن كل ما يورث النفوس قساوتها وغلاظتها، وتقرّ فيهم الرحمة والتلطف بالمخلوقات، طبقا لقوله تعالى: " ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر" (آل عمران، الآية:)

الجهد في الاتقان فيما يتعاطاه من الأعمال والدرس، يلّح عليهم المدرس في متابعة الدرس ولا ينصرفوا عنانهم عنه، حتى يتقنوا دروسهم ولا يشغلهم عنه أي .شغل

،تحريك وإعمال ذكاء التلميذ دون إهماله وتعطيله: وتقع هذه بتكليف الطلاب ببعض الأعمال وحفظ بعض النصوص والآيات والسور تسخيدا لعقولهم .وتوجيها لضمائرهم، وتقويما لذاكرتهم

.التشجيع على مباشرة الأعمال، والترغيب فيها، والقيام ضد العدو، ومحاولة تقديم عجلة التقدم إلى الأمام

.تجنب الكسل والهزلان والاسخار من الغير

.التعاون التام بين أعضائها أو أسرتها عند مواجهة الغارات والهجومات التي تهاجمهم أو يهددهم وتعرض عليهم

.التأثر والتأثير بشخصية المعلم أو ما ينوب عنه أو العلماء الأفاضل

.صون العرض ومحاولة التكسب من الحلال، والذود عن الحرام مع الحرص على الزهد وإقبال الآخرة

كل هذه النقاط وغيرها كانت من الطرق والأسباب التي مهدتها الكتاتيب لتهيئ أربابها أو المنتمين إليها في مقاومة التحديات التي واجهت ولا تزال تواجه .أبناءها وتعوق دون الوصول على المطلوب

.الخاتمة

تعتبر الكتّاب مؤسسة إسلامية عتيدة، ومركزا علميا محضا، بل هي مدرسة القرآن وعلوم البيان، وظلّ حصن الأمة، ومعلم الأجيال، وهي النظام التعليمي الأمثل لتعليم الناشئة في المرحلة الأولية، وقد اعتنت بها الأمم منذ الأمس إلى اليوم لبناء مستقبلهم، واعتمدوا عليها في تربية أبنائهم، ونشر معارفهم ومعلوماتهم، وهي وعاء فصيح، وجسر أمين يربط بين الماضي التليد والحاضر المجيد، ويهيئ الأجيال لبناء المجتمع المثالي للمستقبل القريب، وكانت حصنا منيعا ورصينا تدافع عن أحلام القوم وأفكارها، وبها قاومت تلكم التحديات والمشاكل التي تعوق دون تقدم القوم وتطوره، لأنها تعطي صغار الأمة ما تدافع .بها عن نفسه ومجد مجتمعه

:التوصيات والاقتراحات

فالكاتب في هذه السطور المتواضعة يوصي نفسه والإخوة الكرام أساتذة وطلابا والباحثين في جميع الميادين العلمية والثقافية الاهتمام بهذا التراث الإسلامي الجليل، وأن يوليه العناية التي تليق بعظمتها لإسهاماتها في ثقافة الفرد وحضارة المجتمع منذ طلوع فجرها على الصعيد الدولي، وتشمل التوصية النواحي التالية :منها ما تمسّ الحكومة وأولات الأمر، ومنها ما تليق بأفراد المجتمع وأعيانهم

تطوير المنهج المستخدم في تلك المؤسسة حتى يجذب انتباه الغير، وتزودها بالمبادئ الأساسية التعلّمية حتى تناسب الحياة الراهنة، وتنفى عنها الغبار، وتصبغها .بصبغة عصرية نابضة ومثمرة

الانفاق والاشفاق على المعنيين بها دون أن تتركهم الحكومة ولا أفرادها وترعون سدى دون راع، أو يكون حبله على غاربه، وتديرونها بلا تخطيط ناصح، ولا .تنظيم واضح تخبر بالمستقبل الباهر

: من الاقتراحات

تعمير تلكم المدارس بإعطائها الأولوية في ترتيب الأمور، وتحرص عليها الحكومة كل الحرص لإيقاظها من ويلات العصر، وثورة المخترعات، وأمواج الأحداث .والوقائع التي تقلع القصور من جذورها وتدعها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا

ترغيب الحكومة وأفراد المجتمع في العناية بشؤون المعنيين بهذه المدارس والمقيمين عليها والذين يرعونها ويتفقدون أحوال طلابها، وينقذوهم من فلجة الجوع .وشعوبه التي تؤدي إلى الهلكة، وتخرج من ذويه المروءة والإنسانية، وتثير في قلوبهم القساوة والعناد، وأخذ حقوق الغير من جور وظلم دون مخافة عقباها

وضع المناهج التعلمية العامة والهادفة والنبيلة تعصم مسيرة اللغة العربية والدراسات الإسلامية وأربابها من تصوّر مخالف للواقع، وتخرجهم من الرجعية والتقهقرية .والغربة

توفير الوسائل التعلّمية الحديثة من بناء الفصول وتعميرها بما يناسب الحياة المعاصرة ومستجداتها، كاستخدام الكتب المدرسية المحكمة والمناسبة لأعمار طلابها، والتي تشبع رغباتهم، مع مرعة البيئة والظروف المحيطة بها، وتروى غلاتهم وخلجاتهم، وتبرد طموحاتهم، والحاسوب والإنترنت، وتوظيف الكفء من .المدرسين الذين يهتمون بالماضي ولا يتجاهلونه كما لا يتغافلون عن الحاضر، ويستطيعون أن يتخططوا للمستقبل القريب، وما يعود لمجتمعهم من الخير

.تحسين وتقويم طريقة التعلّم والتعليم في هذه المدارس، ومعاملة أصحابها بكل إنصاف ولين

.المصادر والمراجع

.القرآن الكريم

.ابن خلدون، عبد الرحمن، (2004م) مقدمة ابن خلدون تحقيق الدكتور حامد أحمد الطاهر، ط/ 1، دار الفجر للتراث، القاهرة

، أبوبكر علي،2014م، *الثقافة العربية في نيجيريا من 1750 إلى 1960 عام الاستقلال*، ط/2، دار الأمة للطبع والنشر والتوزيع .كانو، نيجيريا

.أغاك عبد الباقي شعيب، (2005) أساليب بلاغية في ديوان الأستاذ عبدالله بن فودي، ط/2، مطبعة المضيف ،إلورن

الإلوري، آدم عبد الله،1971م *الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي*، ط/2، مكتبة الحياة بيروت ـ لبنان. الإلوري، آدم .عبد الله،(1992م) مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية، ط/2، مكتبة وهبة، مصر

.الإلوري، آدم عبدالله، (1983م) *نظام التعليم العربي وتاريخة في العالم الإسلامي*، ط/3، دار المعارف، مصر –

– .إبراهيم أنيس وغيره، (1972م) المعجم الوسيط، الطبعة الثانية، دون اسم المطبعة

أونيريتي، لطيف إبراهيم وغيره، □□□□□□ □□ □□□□□□□ □□□□□ □□□□ □□□□□□□□ في مكتبة الكاتب الخاص

جبل محمد حسن حسين، (1923) *المعجم الاشتقاقي في المؤصل لألفاظ القرآن الكريم مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم باصواتها وبين معانيها* ، المجلد الأول ، مكتبة الآداب ، القاهرة.

زكرياء إدريس حسين، (2000م) المأدبة الأدبية لطلاب العربية في إفريقيا الغربية، ط/1، دار النور، أوتشي، نيجيريا.

غاتا، عبد الله مسعود،(2015م) *واقع اللغة العربية في البحث العلمي اللغوي في بعض جامعات نيجيريا*، كتاب المؤتمر، الكتاب السابع، الإمارة العربية المتحدة. دبي.

_،غاتا، عبد الله مسعود،(2012م) استخدام التكنولوجية الإعلامية (الانترنت) لتعلّم الأدب العربي في نيجيريا Spring Board Journal, Al-Hikmah University, Ilorin. No.1, Vol. 2.

غلادنث، أحمد شيخوا، *(1993م) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا من سنة 1804 إلى سنة 1960م*، دار المعارف، مصر.

فتحي عبد الحميد (2018م) الكتاتيب في مصر مكانتها ودورها، كيف ينظر إليها.

المراجع الأجنبية:

Federal Ministry of Education (2002). Blueprint and implementation plan for the National Open & Distance Learning Programmes. Abuja, Nigeria.

Fafunwa, B. A. (1985) History of Education in Nigeria, University Press, Ibadan, Nigeria